سمات التداول في الخطاب السياسي

خطاب الرئيس بوتفليقة بمناسبة جائزة البابطين الثقافية نموذجًا

د. بشير إبرير
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة عنابة

ملخص

نتناول في هذا الموضوع عدة عناصر منها: مفهوم الخطاب السياسي باعتباره إنتاجا لغويًا وفكريًا أساسيا في المجتمع فاعلا فيه ومنفعلا به. كما نحاول تبيين أهمية دراسته فهو خطاب لم يحظ بالدراسة على أهميته وبخاصة في عالمنا العربي، ولذلك فإن لي هدفا بيداغوجيا وهو أن يعرف طلبة اللغة العربية وآدابها هذا النوع من الخطابات ويستأنسوا بتحليله لأنه يعد من الخطابات المتداولة في المجتمع، له مقاربات تحليل منها: المقاربة المعجمية والتركيبية والاجتماعية – اللسانية والتداولية. ثم نقدم نموذجا تطبيقيا يتمثل في خطاب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة لقائه بمؤسسة جائزة البابطين للإبداع الشعري، فنبحث عن سمات التداول الكامنة فيه من حيث شكله ومحتواه والأطراف المشاركة وجملة النتائج المستخلصة التي تصب إجمالا في مفهوم الثقافة والهوية الوطنية.

Résumé: Cet essai aborde un nombre important de questions concernant la notion de discours politique : Considéré comme une production linguistique et intellectuelle primordiale pour l'édification des rapports sociaux. Dans les pays arabes, particulièrement l'Algérie, le discours politique fait l'objet d'étude importante. Nous allons tenter d'aborder la question d'un point de vue didactique en essayant d'exposer aux étudiants de la langue et de la littérature arabe ce type de discours dont le but de les familiariser avec les méthodes d'analyse.

En tant que discours d'usage social, le discours politique peut être considéré d'un point de vue lexical, syntaxique, socio- linguistique et pragmatique. Et pour mieux faire comprendre notre vision des choses, on se propose de s'exercer sur un discours du président Bouteflika Abdelaziz donné à l'occasion d'une rencontre organisée par la fondation du prix Babtine pour la création poétique, où on a cherché a déterminé les aspects pragmatiques du discours dans sa forme et son contenu, ainsi que d'autres éléments qui l'alimente comme la culture et l'identité nationale.

1 – الخطاب السياسي: مفهومه وأهميته:

1 - 1 - مفهوم الخطاب السياسي: يشمل مصطلح تحليل الخطاب استعمالات عديدة ويطال ميادين واسعة من الأنشطة المختلفة التي تتلاقى فيها اختصاصات علمية متنوعة أهمها اللسانيات بفروعها: الاجتماعية والنفسية والتطبيقية... وتخصصات أخرى عريقة مثل الفلسفة والأدب والتاريخ... بالإضافة إلى المعرفة المنهجية وما تحتاجه من ضبط ودقة وحنكة في التحليل والتأويل، وبهذا فإن تحليل الخطاب نموذج حي لتظافر الاختصاصاتInterdisciplinaire وقد أدى هذا إلى تنوع الخطابات بتنوع المعارف الإنسانية في الآداب والعلوم والفنون ومنها الخطاب السياسي الذي يعد أحد الأنواع الرئيسية في تحليل الخطاب باعتباره إنتاجا لغويا معرفيا أساسيا محركا ومؤثرا في المجتمع. فهو كما ذهب المنصف الوناس: تركيب كلامي ذو بعد إجرائي وقانوني يهدف إلى توضيح بعض المواقف وتبيان موقف السلطة الحاكمة منها[1]._إن الخطاب السياسي عبارة عن وضع code يتألف من شبكة من العناصر الإعلامية والإجرائية التي تعمل على تبرير قوانين أو قرارات معينة تم اتخاذها في مجال محدد. وهو ترميز إيديولوجي يتخذ من علم العلامات Sémiologie أداة بيانية له بالإضافة إلى كونه يتأسس على ترسانة قارة من المفاهيم والاستعمالات الثقافية ذات الانتماء المرجعي المحدد والواضح[2]، ولذلك فهو متعدد ومتباين؛ لأنه يعكس تفسيراتٍ ووجوه تأويل مختلفة تم إنتاجها في المجتمع تعبر عن مواقف متباينة هي أيضا ومواقع ومطامح فئات اجتماعية تحمله مشروعها وتشحنه بقيمها ويبرز في ممارساتها في شكل أخبار ومعلومات تحدد العلاقة بين المرسل والمرسل إليه أو بين الحاكم والمحكوم باستثمار مواقف ومراجع إيديولوجية لدعم وجهات نظر محددة والإقناع بها. إنه من هذه الناحية خطاب إقناعي يتأسس على إطار نظري إيديولوجي وجهاز مفاهيمي يحدد أبجديات تحليله[3].

2 - 1 - أهمية دراسة الخطاب السياسي: يعد الخطاب السياسي خطابا مهجورًا مبعدا من الدراسة إذ لم يتم تحليله في الجزائر وفي الوطن العربي باعتباره وحدة معرفية وتعبيرا عن المخيال الجماعي لأفراد المجتمع ونتاجا لغويا وفكريا قابلا للتحليل اللساني والاجتماعي ومختلف مناهج التحليل يمكن دراسته شأنه شأن دراسة النصوص الأدبية ولعل ذلك راجع للاعتبارات السياسية في المجتمع العربي حيث يتميز هامش الحرية بالضيق والانعدام أحيانا، فأدى ذلك إلى التعامل معه وكأنه غير قابل للنقد أو إن شئت فقل فوق النقد بل إلى وضعه في مرتبة المقدس الذي لا يأتيه

الباطل. وأدى من جهة أخرى إلى النفور منه والثورة عليه؛ بمعنى أنه قرئ قراءة عاطفية ذاتية متطرفة في الحالين، اختفت معها الصياغة الداخلية المميزة للخطاب السياسي وانعدمت فيها إمكانات التحليل الاجتماعي في تظافره بأنواع من التحليل اللساني والأسلوبي؛ "وإنما لجأت إلى التأمل والانطباع وتغليب الذاتي والتلفيق فنتج عن ذلك ردم تشكلات هذا الخطاب والتعامل معه خارج التاريخ وخارج العلاقات الاجتماعية وسيرورتها."[4] إن ما حفزنا على دراسة هذا الموضوع هو أن الخطاب السياسي في الجزائر صار خطابا متميزا عن السابق من حيث التعدد والتنوع ومن حيث الكم والكيف ومن حيث انفتاحه على فضاءات معرفية تعدت المجال السياسي استقى منها بنيته المفاهيمية ومنطلقاته النظرية ورؤاه المستقبلية، وبخاصة في الفترة الممتدة من 1995 إلى 2003 التي شهد فيها الخطاب السياسي قفزة نوعية. ثم إننا قد تعودنا على دراسة النصوص الأدبية التي ينتجها كبار الأدباء والكتاب وما عداها مما ينتجه المجتمع من خطابات يتم تداولها بين أفراده تبعد من الدراسة بحجة أنها غير بليغة ولهذا فإنّ لي هدفا بيداغوجيا وهو أن يعرف الطلبة الجامعيون في قسم اللغة العربية وآدابها أن مفهوم تحليل الخطاب لا يعني الأدب وحده وإنما يشمل الخطابات المختلفة المتداولة في المجتمع.

ولهذا سأحاول أن أدرس هذا الخطاب لكونه:

1 - حدثا لغويا منجزا هدفه التواصل مع الأفراد والمؤسسات الاجتماعية.

2 - نصا مدونا مكتوبا له منطق داخلي ومراجع تأثير ومفاهيم ومصطلحات خاصة به تبين أصالته وتفرده "فهو حصيلة تراكم معرفي سياسي وثقافي يتجه إلى شرح الموقف من خلال التواصل مع المعني بالأمر."[5]

3- منتوجا اجتماعيا يؤطره أناس مرموقون في المجتمع يمثلون النخبة التي تحلل الواقع وتقومه وترسم الآفاق المستقبلية.

2 – المقاربات المنهجية لتحليل الخطاب السياسي(6):

2 - 1 - المقاربة المعجمية Approche Lexicale: وتهتم بدراسة المفردات الأساسية الموجودة في الخطاب السياسي؛ إذ كل خطاب يستعمل صاحبه مفردات معينة ومحددة يمكن أن نطلق عليها مفردات مفاتيح تبين بجلاء الخلفية المعرفية التي ينطلق منها. فكل كلمة هي عبارة عن علامة؛ أي دال ومدلول تظهر آراء وأفكار مستعمليها، وقد توظف الكلمة نفسها في هذا الخطاب وتدل مدلولات معينة ولا تدل

المدلول نفسه في خطاب آخر." فما تفيده كلمة " ديمقراطية " في التيار الليبرالي مختلف تماما في سياق ماركسي أوديني باعتبارها تخضع إلى تصورات متناقضة ومغايرة."[7] والأمر نفسه بالنسبة لكلمة " قطيعة " في الخطاب السياسي الجزائري، فكل يفهمها ويوظفها بناء على خصوصياته المعرفية والفكرية ومرجعياته الإيديولوجية. وكذلك كلمة "استئصال" وكلمة "حقرة ".... وغيرها من الكلمات الأخرى. وإن كلمات مثل "الشرعية "و" الإرهاب "و" العنف" تختلف في الخطاب العربي عنها في الخطاب الأمريكي وبخاصة بعد11 سبتمبر 2001. نشير إلى أن الكلمات المفردة يزداد إشعاعها الدلالي بكيفية انتقائها وتوزيعها حسب نسيج أو شبكة الخطاب الذي تنتمي إليه وبحسب طرائق تأديتها مشافهة. ولقد عالج هذه المسألة أوليفي روبول Olivier Reboul في كتابه: اللغة والإيديولوجيا "حيث اعتبر الخطاب الإيديولوجي لغة وتداخلا لسانيا Interférence Linguistique بحسب الأهداف المتوخاة من الخطاب أو بحسب الارتكاز الإيديولوجي الذي يؤطره[8]. يكون الخطاب السياسي بهذا الطرح، كلا مؤلفا من العلامات Signes المترابطة المنسجمة بعضها ببعض هدفها إيجاد ائتلاف منطقي بين العناصر المكوّنة لهذا الخطاب وهي التي تسمه بسمة المباشرة والتقريرية وقد تكون العلامة صوتية مثل" الجهر والهمس " أو صرفية مثل علامة الجمع والتأنيث أو تركيبية كالتقديم والتأخير، أو نحوية كصيغة الكلمة عندما تدل على وظيفتها كأن تكون فعلا متعديا أو نعتا أو اسم فاعل أو مفعول ولمثل هذه العلامات دور في تحقيق الخطاب لأثره في المتلقي[9]

2 - 2 - المقاربة التركيبية Approche Syntaxique: وتهتم بدراسة الجملة في علاقاتها الإسنادية المختلفة وتراكيبها المتنوعة وما تؤديه من وظائف داخل الخطاب بوصف هذه التراكيب أساسية؛ أي تراكيب وجمل مفاتيح إن جاز القول. فمنتج الخطاب يجعل كلماته في جمل وتراكيب يقوم بتوزيعها على نسيج النص بحيث تؤدي إلى تحقيق الانسجام النصي Cohérence Textuelle بحسب المقاصد والأغراض التي يؤمها مرسل الخطاب. ينصب الاهتمام في عملية التحليل على دراسة التشكيل النحوي للجمل والتراكيب ونظام العلاقات الذي يشملها والبحث عن مواقعها أو مواضعها في الخطاب " كموقع الفاعلية في (جاء .... أمس) أو موقع الابتداء في (كريم النفس) أو الإطار الذي يمكن أن يستعمل فيه مجموع متجانس من الوحدات اللغوية فمثلا (هو..بيته) يمثل إطارا يصح فيه استعمال كلمات مثل: "في"و" داخل "أو" خارج" أو "فوق" وموقعية هذه الكلمات الظروف هي الفراغ بين

كلمتين في مثل هذه الحالات نحدد من خلاله المكان[10].

وقد يتعدى التحليل إطار الجملة إلى تحليل الملفوظات Enoncés وطرائق التلفظ Enonciation ليظهر انفعالات وشخصية المتلفظ Enonciateur وذلك من خلال التركيز على تمظهره في صلب ملفوظه بالنظر إلى مقام التلفظ والوضع المشترك بينه وبين المتلقي وما يترك ذلك من تأثير على المحكوم أو الرعية الذين يمثلون المرسل إليه إذا اعتبرنا الخطاب رسالة Message يمكن تمريرها أو تبليغها.

2 -3- المقاربة الاجتماعية-اللسانية: approche sosio-linguistique: تنظر إلى الخطاب السياسي باعتباره ممارسة لغوية تبرز العلاقات الاجتماعية (العلاقات الاقتصادية - الطبقات الاجتماعية...) واللغة التي تطبع الخطاب السياسي تعد مرآة تعكس ما يسري في المجتمع من أحداث وتفاعلات سلبا أو إيجابا يحاول الخطاب تأكيدها أو تبريرها أو إقناع الجماهير بها." هذا الضرب من التحليل المعرفي عرفته الثقافة الغربية مع ظهور علم الاجتماع كوحدة معرفة مستقلة وكيان ذاتي في حين أن المشروع الثقافي العربي بقي بعيدا عن نقد كل التعابير السلطوية من خطب وممارسات سياسية."[11]. تتجاوز المقاربة الاجتماعية –اللسانية في تحليلها للخطاب السياسي الزاوية النصية الخالصة وبنيته الشكلية وصياغته اللغوية الصميم وعلاقات دوالها المختلفة التي تبعد الخطاب عن جذوره وتفصله عن سياقاته التاريخية وبنياته الاجتماعية التي يستمد منها محتوياته الفكرية وإنما تنظر إليه بكونه " فاعلية فكرية تتوجه توجها ذا معنى وتستهدف غايات محددة في الواقع الاجتماعي."[12]. وهكذا تتحدد خصوصيات الخطاب انطلاقا من عملية التركيب والصياغة إلى محتوى شعاراته المبينة لرؤية منبع الخطاب للواقع الاجتماعي. والمهم في كل هذا، أن يتأسس الخطاب السياسي على جملة من المميزات التي تظهر في ممارسته الوظيفية في الواقع وهي التي توجهه وتعطيه شكله فقد يستند إلى الدين أو الاقتصاد أو التاريخ أو نوعية التنظيم السياسي وهي التي تمكننا من معرفة مرجعياته وتوجهاته الإيديولوجية [13].

2 - 4 - المقاربة التداولية: Approche pragmatique: يمكن أن يحلل الخطاب السياسي تحليلا نفعيا تداوليا، وذلك لأن كل خطاب سياسي لا يخلو من هذه الميزة ويبرز ذلك مثلا في خطابات الأحزاب السياسية؛ إذ كل واحد منها يعمل على إقناع الجماهير بمشروعه فيقدمه لهم في مظهره الإيجابي الذي يحقق لهم المنفعة دائما موجها – في الوقت نفسه- النقد الموضوعي واللاموضوعي لخطابات غيره لتنفير الجماهير منها. إن الجانب العملي (النفعي) جانب حاسم في الخطاب السياسي يهدف

المتكلم من خلاله إلى إيجاد المرونة اللازمة مع المواقف المختلفة والتطبع بما تمليه المرحلة السياسية والحضارية والعمل على " استمالة الناس والإكثار من الأنصار لتحقيق الغلبة في المجال الاجتماعي..."[14] وذلك بشحن الخطاب بالقيم والتفسيرات التي " تهدف إلى الإقناع وخلق الإجماع والتأثير في نفسية الأفراد والجماعات بغية الوصول إلى التغييرات الاجتماعية وذلك من خلال خلق أحلام جديدة أو يوتوبيا تدفع الفرد إلى التعلق بمشاريع هو على استعداد أن يضحي من أجل تحقيقها..."[15] وإذا كانت الدراسات البنوية قد اهتمت بدراسة النظام اللغوي بمستوياته الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية والدلالية فإن الدراسات التداولية تركز على المقام الذي تحدث فيه الخطابات وعلاقة العلامات بمستعمليها والمؤولين لها والوضع الذي ينطلقون منه بما يشمل من لغة وثقافة؛ ذلك أن اللغة ترتبط دائما بالوضع السياسي وتتغير تبعا له، فغالبا ما يوظف الخطاب السياسي أفعالا كلامية هي عبارة عن وعود أو تقارير أو طلبات أو أوامر... في شكل شعارات فعالة جماهيريا بغية التحريض أو الاستمالة أو الإقناع فيتم العزف على الأوتار الحساسة عند المتلقي ومحاولة التسلط على الحساسية المتأثرة لديه وتحسس نقاط ضعفه ... ليقدم له نفسه -بعد ذلك- على أنه هو الأفضل والأحسن والأنجع والمخلص والخادم الساهر على رفاهية الجميع.

3 - سمات التداول في خطاب عبد العزيز بوتفليقة:

تجدر الإشارة - هنا- إلى أن المقاربة التداولية تتأسس على المقتضيات التواصلية والسيميائية وتتداخل معها. إن التداول هو – في الحقيقة – التواصل الفعال الذي يعبر عن الغرض ويبلغ المقصود بسهولة ويسر؛ أي يصيب المعنى من أقرب مرمى بلغة العلماء العرب القدامى. تستدعي التداولية الإجابة عن أسئلة هامة مثل: من يتكلم ومع من يتكلم؟ وماذا يقول بالضبط؟ وكيف يتكلم عن مسألة ويقصد مسألة أخرى غيرها؟ إن محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة تحتاج إلى أن نستحضر مقاصدنا وأفعال لغتنا وسياق تبادلاتنا الرمزية والبعد التداولي للغة المستعملة وأهدافها مما أدى إلى وجود مفاهيم هامة تميز حقل التداولية مثل: مفهوم الفعل ومفهوم السياق ومفهوم المقام ومفهوم الإنجاز....

3-1- الخطاب: يعد الخطاب موضوع التحليل حديث العهد بنا، فقد تم التأريخ لإلقائه على المخاطبين بيوم الاثنين 7 جوان 1999 في بلد محدد هو الجزائر الذي عرف ويعرف مرحلة متميزة في تاريخه "يتطارح فيها الجزائريون أسئلة الهوية والمشروع المجتمعي والسياسي الذي ينبغي أن يعيشوا في كنفه "[16] وهو بعنوان:

"لقاء مع مؤسسة جائزة البابطين للإبداع الشعري والإمتاع " ثم إنه يحمل إلى جانب العنوان لفظة، " كلمة " وليس خطابا مما يركز على منطوقة أكثر من شكله المكتوب. الساكن المنغلق بين نقطة بداية ونقطة نهاية؛ بتعبير آخر التركيز على المشافهة أكثر من التحرير. وهو من حيث الكتابة يشغل حوالي 25 صفحة ضمن خطب ورسائل الرئيس ابتداء من 27 أفريل إلى 14 جويلية 1999 التي تمتد على مدار 383 صفحة، وهو الخطاب التاسع من بين 25 خطابا ورسالة تم إلقاؤها في الفترة القصيرة 04/27 إلى 1999/07/14.

وسنحاول أن نتعامل معه بوصفه عملا محدثا فهو مدونة نصية لكلمة أو خطاب تم بثه لتبليغ رسالة إلى متلق سامعا كان أم قارئا "وهذا يعني أن الوظيفة التواصلية للغة هي المجال الأولي لبحثها وتسعى بذلك إلى وصف الشكل اللغوي لا من حيث هو شيء ساكن، وإنما بوصفه وسيلة حركية للتعبير عن المقصود" [17].

3-2- مقام الخطاب: نعني بالمقام أو حال الخطاب Situation de discours مجموعة من العوامل التي تحيط بالكلام وتساهم في إيضاحه وتساعد على فهمه وتفسيره، فكل كلام يتم إحداثه عن قصد يجد ما يبرره في شخصيتي المتخاطبين للإفهام والفهم؛ أي للإفادة. والدور الذي تلعبه القرائن المقالية والحالية في معرفة استعمال الأحاديث Enoncés حسب مقتضيات ظروف التواصل وتنظيمها واستثمارها في وحدات لغوية تحدث فعلا في أحوال معينة للتعبير عن مقاصد معينة. لقد تم إحداث هذا الخطاب ضمن جملة من السياقات التاريخية والسياسية والحضارية والثقافية التي ميزت المجتمع الجزائري خلال التسعينات والظروف المأساوية التي عرفتها الجزائر وتنامي الخطابات المتضادة بشأنها داخليا وخارجيا، وطرح أسئلة محرجة جدا منها على سبيل المثال: سؤال الهوية الثقافية ومراجعها الحضارية ومن خلالها" الملائمة بين النموذج المجتمعي المختار "[18]. وقد تحدد المقام هنا بمناسبة ثقافية وهي لقاء مع مؤسسة ثقافية للإبداع الشعري والإمتاع. ولذلك كيف المتكلم صيغ خطابه لتناسب المقام فهو يتحدث إلى جمهور مثقف شاعر له طاقة على الفهم والاستيعاب والتحليل والتأويل وله زخم أحاسيس يمكنه من إدراك راهن الجزائر المؤرق وتاريخها المشرق وحرقة أسئلتها المطروحة. وذلك ما نقرأه في ص120 عندما يقول:«... مرحبا بكم في وطن يختزل التاريخ في قطرة دم. مرحبا بكم في وطن يمتد في ذاكرة أجيال شاهدة على ثورة كنا وقودها وكنتم شهودها... مرحبا بكم في الجزائر الواقفة رغم فجائع المحنة وفضائع الفتنة...".

3-3- منتج الخطاب ومرسله: يمكن أن نقول: إن منتج الخطاب يتمثل في المؤسسة

الرئاسية التي تميزت بإنتاج العديد من الخطابات منذ تولي الرئيس عبد العزيز بوتفليقة الرئاسة. إن مرسل الخطاب – هنا – ليس مرسلا عاديا وإنما هو مرسل له سلطة قولية مستمدة من سلطته السياسية ومقامه في سلم المجتمع؛ فهو الرئيس وذلك له تأثيره في دلالة علاقاته بالمتخاطبين الذين يتلقون خطابه في زمن واحد ومكان واحد؛ بمعنى أن العلاقة بينهما علاقة حضورية لها أثر كبير في إقناع المخاطب والتأثير عليه. إن العلاقة الحضورية تجعل المتكلم والمخاطب أو أحدهما شاهد حال على ما يجرى وما يُؤدَّى على مستوى الإنجاز الشفوي والأحوال التي تحيط به وتتحكم فيه.

3-4- متلقي الخطاب: إذا كان المتكلم والكاتب هو الذي يحدث الخطاب فإن المتلقي هو السامع أو القارئ الذي يستقبل الخطاب ويعد شريكا أساسيا فاعلا في عملية التخاطب فلا تتم إلا بحضوره.

ويتمثل هنا في:

1 - عبد العزيز البابطين بوصفه مدير مؤسسة جائزة البابطين للإبداع الشعري والإمتاع: ويتجلى ذلك واضحا في السطر الأول من الخطاب؛ فبعد البسملة يتوجه الخطاب مباشرة إليه بهذه الصيغة:" الأستاذ الشاعر الصديق عبد العزيز البابطين ... " ص119

2 - أعضاء مجلس أمناء مؤسسة البابطين

3 - رجالات الفكر والثقافة والإبداع والامتناع. ص119

إن استعمال كلمة: الشاعر الصديق ترفع من قيمة المتلقي وتجعله في الوضع الاجتماعي نفسه مساويا للمتكلم في علاقة حميمية إن جاز القول، بالإضافة إلى الاستشهاد بشعره في الصفحة 127 والصفحة 139 من الخطب والرسائل؛ مما يوضح أن المتكلم مطلع ومتابع للساحة الشعرية وما ينجز فيها وقارئ ذواقة للشعر. وأن المتلقي له قدم راسخة في الإبداع الشعري من ذلك أن خصه بمؤسسة توزع الجوائز على فحول الشعراء لقد خص صاحب الخطاب متلقيه عبد العزيز البابطين بتمهيد مدحي بين فيه شاعريته وإنسانيته وكرمه.

ثم يتسع فضاء المتلقي ليصبح مجموع الحاضرين في الجلسة التي ألقي فيها الخطاب من المثقفين والشعراء والأدباء.... ثم يعم كل المستمعين للخطاب جزائريين وعرب ممن لم يحضروا جلسة الإلقاء.

3-5- قناة التخاطب: وتتمثل –أساسا- في اللغة المنطوقة التي شافه بها المتكلم مخاطبيه الحاضرين مباشرة معه في مكان وزمان الخطاب وما يصاحب ذلك من إشارات باليد وبالرأس وبالمنكبين وبملامح الوجه... حتى إذا قصرت عن أداء المعنى عبارة دلت عليه إشارة.

وتتمثل أيضا في وسائل الإعلام المختلفة منها التلفزة التي توفر الصوت والصورة وتجعل المتلقي كأنه حاضر في الخطاب وكذلك الإذاعة والصحافة المكتوبة وكل ما يربط حبل التواصل بين الأطراف المشاركة في الخطاب. إن كل هذه الوسائل قد انبرت لتبليغ الخطاب والتأثير في المتلقي وتنبيهه وإفهامه.

3 - 6 - وضع الخطاب: يتألف من العلامات الخصوصية عند المتكلم والمخاطب وقواعد الربط الخاصة المشتركة بينهما وهو في اللغة يتكون من جملة القواعد النحوية والصرفية والمعجمية والدلالية فلا يمكن أن يرسل خطابه إلا إذا رتبه تبعا لقواعد النظام اللغوي " فلا تبليغ ولا إفادة يمكن أن يحصلا إلا بالوضع لأنه شيء مشترك بين الأفراد في زمان معين ومكان معين حتى يشملا القرون العديدة والأجيال المتعاقبة والأرجاء الواسعة....."[19] إن الوضع هو القدر المشترك في المعرفة بين المتكلم والمخاطب، ويتمثل في هذا الخطاب في كون الخطاب قد ألقي باللغة العربية مما يعزز حبل التواصل بين المتكلم والمخاطب ويؤدي إلى التجاوب مع الخطاب وفهم محتواه ثم أن موضوع الخطاب المتحدث عنه هو الثقافة بشكل عام والشعر والإبداع والمتعة يمثل قدرا مشتركا بين أطراف الخطاب ليحصل الفهم والإفهام ويحقق تأثيره في المتلقي.

3-7- لغة الخطاب: إن اللغة التي أنجز بها هذا الخطاب مشافهة وتحريرا لغة متداولة من حيث ألفاظها وتراكيبها وبخاصة في أوساط المثقفين الذين يفهمونها بسهولة من ذلك مثلا: أن الخطاب قد استهل بمقدمة ترحيبية حفلت بكثير من الكلمات المتداولة ذائعة الصيت بين المستعملين فلا تستدعي منهم العودة إلى المعجم لفهمها. ثم إن هذه المقدمة الترحيبية تعد مدخلا استهلاليا وظيفته الأساسية استدراج المتلقي شيئا فشيئا إلى عالم الخطاب. والكلمة المفتاح في هذه المقدمة هي: "الجزائر" وباقي الكلمات تمثل أوصافا لها وذلك ما نقرأه في الفقرة الآتية:" مرحبا بكم في ربوع أرض الجزائر الخصبة المعطاء... الأرض التي تغذت من دماء الشهداء وارتوت من مداد الشعراء وتعتقت بعرق الطيبين البسطاء وتألقت في عيون أحرار هذه الأمة وشرفائها..." ص119 ثم استبدلت كلمة "الجزائر" بكلمة "وطن" فأصبح التعبير هكذا:"مرحبا بكم في وطن شعاره العزة ورصيده الكرامة وقوامه النخوة وعماده

الكبرياء." ص119 ثم تم تكرار كلمة "وطن" وكيف أنها تختزل التاريخ في قطرة دم وتمتد في ذاكرة الأجيال... ص120.

ثم تم استعمال: "الجزائر الواقفة...." أو "بلادي...". لقد حفل هذا الخطاب بكثير من الألفاظ من مثل: الثورة _ التاريخ _ الشهداء _ الحرية _ العزة _ الكرامة – التضحيات – الأمجاد – المواقف – الشعراء – الكتاب – الإبداع – المعرفة – الفتنة – المحنة - الإرهاب – الأزمة – الرأي – الفكر – الاختلاف – الوعي – الجرأة – الحقرة – التأسيس – الشعب – الانغلاق – الفنون – الآداب... واستعمال كثير من الأفعال مثل: تعتقت –تألقت –تأصلت –تجذرت – توهجت...

تمثل هذه الكلمات مادة خاما يتم توظيفها في الأحاديث اليومية مشافهة وفي النصوص المكتوبة كذلك وهي مما يتم تداوله في الخطاب السياسي.

وقد تجلت في هذا الخطاب استعمالات لغوية عديدة أخرى أهمها النداء مثل: " أيها الكتاب والشعراء أيها المثقفون، ضيوف الجزائر الكبار- سيداتي الفضليات...

إن صيغ النداء وسيلة اتخذها الخطيب لنشر صوته في المكان ونفي صوت الآخر، أي إفراغ الفضاء له وحده لإسماع صوته وتبليغ خطابه.

وكذلك أساليب التوكيد في قوله:

"وأنا إذ ألتقي بكم اليوم فلأن أرفع باسمكم جميعا أخلص التهاني لكل الفنانين الجزائريين ... إنه ليوم كبير في رحلة الجزائر الطويلة..." ص124" إن مؤسسة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري استطاعت أن تتبوأ في فترة قياسية مكانة متقدمة في المشهد الثقافي العربي..." ص126/125 فنراه يستعمل أدوات توكيدية بغية إفهام المتلقي والتأكيد على قيمة المعلومة التي يقدمها له وأهميتها. نقرأ في الصفحة 121 قوله:" إن الدول كما الأفراد تمتحن ويوهن منها العظم وتستكين وقد تزول فلا يبقى لها ذكر أو أثر...

والشعوب كما الزرع إن لم نتعهده بالري والرعاية ذبل وصار هشيما.. لكن الدول العظيمة تحيا بالفكر والشعوب العظيمة تتألق بالإبداع..».. وهكذا فبعد أن يؤكد قوله بأداة التوكيد "إنَّ" يقدم أداة النفي "لا" في قوله:"ولا خلود لمن لم يتكئ على المعرفة والخبرة ويبني مستقبله باعتماد الوعي والكفاءة... " ص121 نستشف من كل هذا مستوى الأداء Performance في الخطاب وخصوصياته فهو وسيلة

مهمة في إنفاذ الخطاب " فالصوت يكتنف الكلام، أي أن الكلام يأتي ليسكن الصوت ويوجهه بحسب المقام وهو طاقة غير محدودة يتم استغلالها بحسب أوضاع المتخاطبين ويمكننا تحليل خصائص المشافهة بالنظر في درجات استغلال الصوت من خلال الأعمال القولية كالتعجب والاستفهام والنداء والتوكيد أو من خلال إيقاع خطة الخطاب: المقدمة والعرض والخاتمة...[20].

وقد سبق أن بينا أن هذا الخطاب يتأسس على مقدمة ترحيبية. أما العرض فتم تخصيصه لموضوع الحديث أو للمتحدث عنه وهو الثقافة والإبداع الشعري والإمتاع بمناسبة يوم الفنان في الجزائر ومؤسسة جائزة البابطين. وقد تميز بالتركيز على تاريخ الجزائر وأصالتها وعراقتها وكفاحها وحريتها وبنائها وخصوصيات ثقافتها وإنتاجها... وأما خاتمة الخطاب فتميزت بالتفاؤل يبرز ذلك في قوله:" فإنني متفائل بالمستقبل لأنني أشعر أن هذه السحب ستمطر خيرات عل أمتنا..."ص 144 وشأن كل خطاب سياسي لابد من التفاؤل لتطمين المتلقي؛ فالمهم هو أن يمرر خطابه. كما استعمل عناصر أخرى منبهة للمخاطب مثل السجع والازدواج باعتبارهما من ضروب الوقف في الكلام وذلك مثل:" كنتم الحالمين بغد لا تتشتت فيه الآمال ولا تشل فيه الأعمال." ص120.

"مرحبا بكم في الجزائر الواقفة رغم فجائع المحنة وفظائع الفتنة." ص120.

وما يميز هذا الخطاب التكرار للألفاظ وتوزيعها حسب فقرات النص وكذلك الإلحاح على الفكرة مثلا العودة بين الفينة والأخرى للحديث عن أهمية جائزة عبد العزيز البابطين و أثرها في الإبداع العربي بعامة و الجزائر بخاصة ومكانتها بين جوائز لمؤسسات عربية أخرى وتوجيه الشكر لصاحبها من ذلك قوله:"ولا اعتقد أن ذلك كان سيتحقق لولا خصال هذا الرجل –الذخيرة." ص127.

إن ما يلاحظ على هذا الخطاب أن صاحبه قد اتبع في أداء مقاصده طريقة تجنب فيها التطويل في العبارة بما لا يزيد عن حاجة المخاطب بالنظر إلى المقتضيات اللغوية لمجاله التداولي وبذلك جتب مخاطبه أو متلقيه ما يسميه الدكتور طه عبد الرحمن بالضرر اللغوي للتطويل وذلك إذا أخلت الزيادة في التعبير بسلامة التبليغ من حيث صيغته وأثره في المخاطب.

فمن حيث الصيغة: جنبه آفة الحشو وتتمثل في زيادة العبارة عن الحاجة التبليغية وعن حد الكفاية الإفهامية.

وجنبه أيضا آفة الركاكة. إذ التطويل في العبارة دلالة علا العيي وضيق

الفصاحة. ومن حيث أثره في المخاطب: جنبه آفة الإتعاب إذ إن المتلقي يتابع الخطاب بسهولة ويسر ودون تعب أو ملل في فهم المقصود منه. وجنبه أيضا آفة التشكيك؛ فلم يأخذ المخاطب الشك، في فحوى الخطاب. وبعبارة أخرى لقد تحقق في هذا الخطاب نفع الاختصار من حيث الصيغة ومن حيث أثره في المخاطب. فمن حيث الصيغة: تم الاقتصار على ما يوافق حاجة المخاطب ولا يتجاوز ما يكفي لتمام إفهامه بحسب ما يقتضي الحال والوضع المشترك بين المتكلم والمخاطب وتمت السلامة اللغوية بحسب قوانين اللغة من حيث الوضع والاستعمال. ومن حيث أثره في المخاطب: يسر عليه نطق اللغة وإدراكها وسهل عليه العمل بها وتطبيقها. ومن ناحية أخرى فإنها تحمل المخاطب على تصديقها فلا يعرض له الشك في محتواها وبذلك توثقت الصلة بين المتكلم والمخاطب[21].

3 - 8 - فحوى الخطاب: ويتجلى في جملة من المفاهيم منها: مفهوم الثقافة: فمن يقرأ نص هذا الخطاب يستشف منه أن الرئيس بوتفليقة له مفهوم للثقافة يجمع بين الثقافة العلمية التي تكسبنا الدقة والتحديد والتفكير المنطقي والبحث الموضوعي والنقد والتحليل والتجرد من العواطف والأهواء.

والثقافة الأدبية التي توسع أذهاننا ومداركنا وتهذب عواطفنا وتعيننا على فهم تاريخ الحضارة وإدراك معنى الحياة السياسية والاجتماعية.

والثقافة الفنية: التي تهذب أذواقنا وتقوي فينا الإحساس بالجمال[22].

يستشف هذا المفهوم من خلال الأسماء الكثيرة جدا التي تم ذكرها في الخطاب وقد شكلت جزء مهما من صفحاته ويمكن أن نقسم هذه الأسماء إلى عدة شبكات منها:

1 - شبكة خاصة بأسماء المثقفين الشهداء منهم: الفنان علي المعاشي صاحب الأغنية المشهورة "أنغام الجزائر" وكذلك القاص أحمد رضا حوحو والعربي التبسي ومولود فرعون.انظر ص30.

2 - شبكة خاصة بالمثقفين الذين كتبوا ويكتبون باللغة العربية ومنهم: مفدي زكريا ومحمد العيد آل خليفة ومالك بن نبي وأبو القاسم خمار وأبو القاسم سعد الله وعبد الله ركيبي ومحمد الأخضر السائحي والطاهر وطار ومحمد الصالح باوية ومحمد الصالح خرفي وابو العيد دودو وعبد الله شريط وعبد المجيد مزيان والجنيدي خليفة وعمار بلحسن وبختي بن عودة. أنظر ص31/30.

إن هذه الأسماء منها: الشاعر والقاص والناقد والمؤرخ وعالم الاجتماع والمترجم والطبيب والفيلسوف ورجل الدين... وهذا يعني أن مفهوم الثقافة – من هذه الزاوية –يشمل معارف عديدة ولا يتعلق أو ينغلق في نوع واحد من المعرفة.

3 - شبكة خاصة بالمثقفين الذين يكتبون باللغة الفرنسية ويشمل الأسماء الآتية: محمد ديب والطاهر جاووت ومالك حداد وكاتب ياسين وآسيا جبار ومولود معمري ومراد بوربون وجون عمروش ونور الدين عبة ويوسف سبتي ورشيد بوجدرة وجمال عمراني ورشيد ميموني. انظر ص131.

تمثل هذه الشبكة من الأسماء توسيعا للشبكة الثانية وبالتالي يوسع من مفهوم الثقافة فهو لا يقتصر على الإنتاج المكتوب باللغة العربية وإنما ما كتب باللغة الفرنسية هو أيضا إنتاج له دخل في الثقافة الجزائرية وهو أحد خصوصياتها المميزة إلى جانب اللغة العربية. ولهذا نجد الرئيس يقرر قائلا:" ولم ينغلق المبدعون الجزائريون في لغة واحدة."/ص131 ونحن نعرف مدى خطورة النقاش وصعوبته واحتدامه بخصوص المسالة اللغوية في الجزائر ومدى الحساسية المفرطة تجاه الكلمات والمفاهيم المستعملة فيه من تبادل للإقصاء والإلغاء.. .

ولعل صاحب الخطاب يحاول أن يجد نوعا من التعايش والتكامل بين الخطابين.

4 - شبكة خاصة بمن أبدعوا بلهجاتهم المحلية ويذكر الشاعر الأمازيغي سي محند أو محند في ص132. الذي يمثل بعدا من أبعاد الهوية الوطنية والثقافة الجزائرية وهو البعد الأمازيغي إلى جانب العروبة والإسلام.

5 - شبكة خاصة بالرسامين التشكيليين من أمثال: أسياخم وراسم وخدة وباية وبوخاتم وزياني وومان وبوكرش.ص132.

6 - شبكة خاصة بالسينمائيين من أمثال: محمد الأخضر حامينة ومحمد راشدي وعمار العسكري ومحمد شويخ ومرزاق علواش وموسى حداد وسليم رياض.ص132.

7 - شبكة خاصة برجال المسرح على رأسهم محي الدين باشطارزي ومصطفى كاتب وولد عبد الرحمن كاكي ومحمد بودية وكلثوم وعلولة ومجوبي ورويشد وحسن الحسني.. ص133.

8 - شبكة خاصة بالمغنين منهم: الشيخ محمد العنقا وبوجمعة العنقيس وفضيلة

الدزيرية ودحمان الحراشي والشيخ الحسناوي والصادق البجاوي والفرقاني ومحمد الأوراسي وعبد الكريم دالي وأحمد وهبي وأيت منقلات... ص133.

9 - الشبكة الأخيرة وتخص التراث الشعبي الجزائري العريق، ويشمل الشاعر الشعبي مصطفى بن براهيم والشيخ السماتي وعبد الله بن كريو وعبد الرحمان بن عيسى.. ص134 .

يرمز هؤلاء إلى كون الثقافة الشعبية تمثل رافدا مهما من روافد الثقافة الجزائرية وعنصرا قارا أصيلا في الهوية الوطنية.

كما يمكن أن نستشف من خلال كل هذه الأسماء مفهوم الأصالة والمعاصرة وما يميزها من تنوع من خلال هذا الخطاب يقول:"... لكني احب أن أفتح معكم أبواب المستقبل؛ لأن الماضي ذهب بما فيه من انتصارات وإنجازات وكبوات وعثرات... المهم هو المستقبل."ص141 " وإذا كان العالم اليوم يستقيظ كل دقيقة على مصطلحات جديدة من خلال دعاوى العولمة والكونية والشمولية فإننا مقتنعون أن لا عالم يصاغ مرة أخرى خارجنا أو في غيابنا لأننا نمثل " قلبانية العالم" "ص143.

وكذلك العولمة لا تكون إلا من خلال العوربة كما جاء في ثنايا الخطاب. إن مثل هذا الطموح ومثل هذه النبرة كثيرا ما تطبع الخطاب السياسي سواء أكانت موضوعية أو لا موضوعية، واقعية أو لا واقعية وذلك من أجل التمكين لنفسه وإبهار المتلقي به موهما إياه بأن الحل والربط عنده وأن المفاتيح السحرية بيديه.

وإذا كانت هذه الفقرة تبين- من الناحية النظرية –درجة وعي المتكلم بالعالم ومستوى إدراكه لما يحيط به ويحدث حوله فإنها من الناحية الواقعية، تبين أن العالم يصاغ بنا فنحن وقوده وضحاياه وأننا قلبانية العالم من حيث المكان والإمكانات المهدورة لا من حيث الفعل والعمل.

ولابد من الإشارة – ههنا – إلى أنه يمكن أن نستنتج الوظيفة المرجعية Fonction référentielle التي يصدر عنها هذا الخطاب، وتتعلق بالدلالة على معنى الخطاب في حد ذاته فتؤدي وظيفة الأخبار عن المقصود وهي الأصل في الوظائف بالنسبة للخطاب السياسي بخاصة وتتأسس على المتكلم فهو الذي يقوم بها ومن خلالها يمكننا معرفة الخلفيات المعرفية والحضارية التي ينطلق منها في تبليغ خطابه.

وتتميز في الخطاب السياسي بالشحن الإيديولوجي الذي يضمنه صاحب الخطاب خطابه ويتجلى في شكل كلمات أو جمل أو شعارات والإحالة إلى مسائل محددة في التاريخ أو في الحاضر.

وتبرز في خطاب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في كثير من الاستعمالات منها مثلا: "مرحبا بكم في وطن شعاره العزة ورصيده الكرامة وقوامه النخوة وعماده الكبرياء" ص119

يمثل هذا الاستعمال إحالة إلى الشعار السياسي الذي كان يحمله الرئيس في أثناء الحملة الانتخابية للرئاسيات وهو:" جزائر العزة والكرامة.".

وهو شعار مضمخ بتاريخ الجزائر وبطولات شهدائها رحمهم الله وبما يعرف عن الجزائري من كبرياء أو "النيف" بالعربية الدارجة.

وتبرز الوظيفة المرجعية من خلال الإحالة إلى شبكات الأسماء العديدة التي رأيناها سابقا؛ فكل مجموعة من الأسماء تحيل إلى مرجع بل كل اسم – أحيانا أخرى – له مراجعه وخلفياته.

وكذلك قد تجلت في ذكر الأماكن مثلا: تيهرت الأصيلة العريقة - سجن بربروس. جرجرة – الأوراس – الونشريس. الصحراء. فلهذه الأماكن دلالات في الخطاب السياسي الجزائري.

وكذلك أسماء أخرى مثل: مدينة كييف وكان والبندقية وقرطاج والقاهرة فلها دلالات ومراجع فنية. تتظافر مع الصورة واللون والكلمة واللوحة والخشبة والإيقاع.

كل هذه الاستعمالات اللغوية المبثوثة في الخطاب تعير عن الوظيفة المرجعية التي ينطلق منها المتكلم وتتمثل في كونه يريد أن يجمع بين الماضي بما يحمل من تاريخ وتضحيات والحاضر بما يحمل من آفاق وتطلعات مستقبلية ويعبر من خلال ذلك عن انتمائه الفكري واعتزازه بأصالته وتميزه الذي شارك فيه الجزائريون على اختلاف مناطقهم ومهنهم وتخصصاتهم الفنية والثقافية.

والنتيجة من كل ما ذكرنا أن هذا الخطاب يعمل على أن يحدد مفهوم الوحدة الوطنية بأنه شامل لكل الأبعاد: العروبة والإسلام والأمازيغية وأن روافدها متنوعة ولها ديمومة في الزمان والمكان.

وربما لذلك ختم خطابه بقول الشاعر:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت آحادا

لمراجع والهوامش:

1 - المنصف وناس –(في سوسيولوجية الخطاب السياسي)
الارتكازات النظرية للخطاب السياسي العربي المعاصر- مجلة دراسات عربية –الأعداد 8- 12- 1982- ص30

2 - انظر المرجع نفسه- ص31

3 - انظر المرجع نفسه- ص30

4 - محمد حافظ دياب- سيد قطب، الخطاب والإيديولوجيا – موفم للنشر- الجزائر 1991- ص11

5 - المنصف وناس – المرجع المذكور سابقا- ص31

6 - انظر بخصوص هذه المرجعيات: Christian Baylon Socio-Linguistique, Societe, Langues et discours, Nathan1991 P249 A 252

7- المنصف وناس- المرجع المذكور سابقا –ص32

8 - نشير هنا مع أوليفي روبول Olivier Reboul إلى أن الإيديولوجية لا تتعلق بالخطاب السياسي فقط وإنما نجدها إلى جانب ذلك في مقرر مدرسي أو قصيدة شعر أو في معالجة علمية ما، أو في رسوم متحركة بمعنى أننا نجد الإيديولوجيا في كل المدونات المكتوبة إلى جانب الخطابات المباشرة. انظر: كتابه: Langage Et Idéologie P207

9 - جورج يول وجيليون براون –تحليل الخطاب –ترجمة وتعليق محمد لطفي الزليطني ومنير التركي –جامعة الملك سعود -1997 – ص 12هامش 6 بتصرف.

10 - المرجع نفسه – ص18 وما بعدها هامش 7و13.

11 - المنصف وناس – المرجع المذكور سابقا ص30.

12 - محمد حافظ دياب – المرجع المذكور سابقا ص15.

13 - أنظر- أحمد حمدي – جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري – سلسلة معالم، دار القصبة للنشر الجزائر2001- ص47

14 - حميد لحمداني –النقد الروائي والإيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي –المركز الثقافي العربي ط(1) 1990 –ص15

15 - أحمد حمدي –المرجع المذكور سابقا ص47

16 - محمد يحياتن –الأصالة من وجهة نظر تحليل الخطاب –مجلة اللغة والأدب جامعة الجزائر –عدد 14 سنة 1999- ص339.

17 - جورج يول وجورج براون –تحليل الخطاب مذكور سابقا ص30.

18 - المنصف وناس – المرجع المذكور سابقا – ص37.

19 - الحاج صالح عبد الرحمن –أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية – مجلة اللسانيات عدد4 ص32 /1974.

20 - انظر –صالح بن رمضان – مدخل إلى قراءة النصوص–مجلة علامات في النقد العدد العشرون المجلد الخامس – 1996 – ص181.

21 - انظر للمزيد من التفاصيل المفيدة والآراء العميقة بخصوص هذه المسائل المهمة الدكتور طه عبد الرحمن – تجديد المنهج في تقويم التراث- المركز الثقافي العربي- ط2 – ص282 وما بعدها.

22 - انظر بشير إبرير –توظيف النظرية التبليغية في تدريس النصوص بالمدارس الثانوية الجزائرية- رسالة دكتوراه مخطوطة- قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة عنابة سنة 2000 ص125/124.

- ملاحظة: تمت الإشارة إلى صفحات المدونة المدروسة في المتن.